

## مقدمة

كانت الواقعة التي أثرت في نفسي ، أكثر ما يكون التأثير ، ذلك الصيف من عام ١٩٤٨ ، ان الانباء والتعليقات الخاصة بحرب فلسطين كانت متحيزة تحيزاً كاملاً . فقد بدا وكأن الصحف جميعاً كان لها مراسلون يدونها بأحداث القتال من تل أبيب . كان صوت إسرائيل قوياً جداً في الولايات الاميركية المتحدة ، اما صوت بلاد العرب فكان صامتاً .

وكانت هذه الواقعة أبرز ما كانت في زوايا الشوارع في مانهاتان \* . فهناك نُصبت مكبرات الصوت على السيارات الكبيرة او على المنابر ، وراحت تخور متوسلة الى الاميركيين ان « يُعطوا دولاراً ليقتلوا عربياً » . وأحسب ان ذلك هو الذي دفعني الى ان اتخذ قرارني . فقد أبدع العرب - وهذا ما كنت اعرفه من قبل - مدينةً وحافظوا على حضارات . اما اليهود فلم يوفقوا الى شيء من ذلك البتة . وأنشأت اراجع الصحف والمجلات . فليس من شك في انها كانت مشوقة الى الوقائع المتصلة بتلك الحرب .

---

\* جزيرة في مدينة نيويورك عند مصب نهر الهودسون . ويبلغ عدد سكانها نحواً من مليوني نسمة . [ المغرب ]

ولكن انسى لها ان تعرف الحقيقة اذا لم تلم بوجهة النظر الاخرى  
المقابلة لوجهة نظر الصهيونيين ؟

وفي ذلك الحين كنت اعمل في «المعهد الآسيوي» في نيويورك،  
وهدفاً لسهام الصهاينة ورجال الفكر المرابن للصهاينة . وعندما  
اعلنت ان العرب ينبغي ان تكون لهم وجهة نظرهم الخاصة في  
المشكلة، ثارت من حولي ضجة مفضضة تصم الآذان، وسجل ضغط الدم  
عندي ارتفاعاً ملحوظاً . وواضح اني لم بقيت في نيويورك اذ ان  
لما كان ثمة مقر من وقوع واحد من أمرين : إما ان اسمح لنفسي  
ولمبادئي أن تغرق في تيار يهود نيويورك العامر النابح، وإما ان  
أستريح بقذائف قاتلة وأهاجم مكبرات الصوت ، معترضاً نفسي  
للاعتقال والسجن .

وحين أطلعني احد الاصدقاء على اعلان كتبه ودفع اجوره،  
في اغلب الظن ، «بن هشت» - إعلان يقول انه كلما قتلت عصابة  
شترن جندياً بريطانياً أو رجلاً عربياً « اقام اليهود عيداً صغيراً في  
قلوبهم » طفح الكيل ولم اعد أطيق صبراً . كانت ذكرى  
« مشروع مورغانتاو»\* لأبادة المانيا بسبب من سوء تصرف رجل  
مساوي مضطرب العقل\*\* لا تزال عالقةً علوقاً كريهاً في ذهني ،  
وكان الصهاينة يعملون على تضخيمها وتكثيفها.

صحيح ان اليهود لم يكونوا كلهم مسؤولين عن ذلك . فليس

---

\* هنري مورغانتاو الصغير ، ناظر المالية الاميركية من ١٩٣٤ - ١٩٤٥

[ المغرب ]

[ المغرب ]

\*\* يقصد أدولف هتلر .

يغيب عن بالي ذلك الاعلان الذي استغرق صفحة بكاملها من  
«نيويورك تايمس» والذي ناشد الرئيس ترومان ان يفكر ملياً قبل  
ان يقدم على الاعتراف بدولة اسرائيل . وانا أدري ان مئات من  
اليهود ، حتى في مدينة نيويورك ، ما كانوا يعطفون على حركة\*  
بدت لي وهمية وهستيرية كوباء مرض الرقص السنجي ( خوريا )  
الذي اجتاح اوروبة في القرون الوسطى .

وعلى الرغم من تلك الدعاية الضمأى الى الدم فقد أيدت على  
نفسى أن اتعصب لأيّ من اليهود او العرب . ولكنني كنت  
مشوقاً الى معرفة الحقيقة . و كنت قليل الثقة بالمستقبل الهادىء  
الوادع كما صوره رجال السياسة عندنا ، وكان مستقبل الشرق  
الايوسط يهمني شخصياً . ولقد أكدت لي نظرة الى جواز سفري  
أنه ما تزال امامه سنة أو نحوها قبل ان يبلغ أجله ويفقد فعاليته ،  
وكان كل ما بقي عليّ ان اعمله قبل القيام برجلي الى الشرق الاوسط  
ان اكفل الحصول على شيء من المال يمكنني من تغطية نفقات  
الرحلة .

ولم يكن ذلك شيئاً هيناً . والواقع اني حين أعلنت اصدقائي  
في الصحيفة وفي اذاعات الراديو بما عزمت عليه من السفر ، اكدوا  
لي ان في ميسوري ان اوقع عدداً من العقود الصحفية يعود عليّ  
بمكافأة سخية - الى ان اكتشفوا اني اعزمت ان أوجه وجهي  
شطر الدول العربية . عندئذ غدت أقوالهم متحفظة حية ،  
وخبائثوهم وخمد . صاروا يقولون : ولكنّ هناك عدداً كبيراً

\* المراد الحركة الصهيونية . [ المعرب ]

من مراسلي الصحف الاميركية في الشرق الاوسط، وان وكالات  
الاخبار تزودهم دائماً بأوفى الانباء، وأن ثمة ازمة حادة في  
الورق... وعلى اية حال، فاذا ما كنت اصرّ على الاحتفاظ بهذه  
الانطباعة على وجهي فهناك ينشأ الاعتراض من شعبة الادارة .  
إذ كيف تستطيع الصحيفة ان تحصل على الاعلانات من المحال  
والمؤسسات اليهودية اذا نشرت مادةً فيها ضرب من التأييد  
للعرب ؟ واذ كرر أني غفمت بكلام يدور حول حرية الصحافة  
والرأي التي نعتز بها، ولكن لم يكن ثمة - على الرغم من ذلك -  
متسع للافاضة في الحديث، فبرحت الجريدة مدحوراً .

واياً ما كان، فقد التمت اياماً من أمل عندما وافقت  
احدى محطات التلفزيون على ان تشتري مني بعض الافلام التي  
اسجلها في رحلتي تلك، لقاء ثلاثة دولارات للقدم الواحد،  
وأكدت لي ان في استطاعتي ان اطمن الى اني سأبيعها مئة قدم على  
الاقل، كل اسبوع . وكان ذلك كل ما احتاج اليه . فما كان  
مني الا ان اخذت سلفةً من المحطة، واشترت بطاقة سفر، في  
اليوم التالي الى البصرة .

وآثرت سفينة بطيئة الى حد معقول لاسباب عديدة . أولها  
اني كنت ارغب في ان ألمّ بماجریات التاريخ المعاصر . فمئذ  
سنة ١٩٤٥، يوم كنت في آسية الجنوبية الشرقية - من الفيليبين  
الى تايلند\* وهندونيسيا - وحتى الاشهر القليلة التي سبقت انسحاب  
البريطانيين من فلسطين وانا اكاد لا اعرف عن الاحداث

---

\* سيلم . [المغرب]

التفصيلية التي ادت الى اندلاع نار الحرب بين اسرائيل والدول العربية إلا قليلاً . وفيما عدا القباحة المثيرة التي تكشف عنها الخطباء اليهود في زوايا الشوارع النيويوركية لم تكن تعتمل في نفسي عصبية خاصة . ولكن الاستماع الى خطب هؤلاء البرابرة كان نادراً ما يكسب المستمعين ويوقع في قلوبهم العطف على قضية اسرائيل .

واياً ما كان ، فقد كنت في سبيلي الى جزء من العالم لم تقع عيناى عليه منذ عشرين سنة تقريباً .

لورنس غرينولد